« خصائص اللغة العربية فى التعبير العلمى »
بحث رئيس وفـد الازهـر

الدكتور ابراهيم نجا
وكيل جامعة الازهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على جميع الانبياء والمرسلين وعلى خاتم سيدنا محمد افصح اللاهجين صلوات الله عليه وعلى آله وصحابته اجمعين وبعد .

السادة الاساتذة الاجلاء رئيس واعضاء جلسة مؤتمر التعريب سلام الله عليكم وتحياته وبعد : —

فانه ليسعدنى ان اتقدم بهذا البحث الموجز عن خصائص اللغة العربية فى التعبير العلمى اسهاما منى فى الذود عن هذه اللغة التى لم يفتأ خصومها لحظة عن رميها بالقصور والعجز على الرغم مما هو ثابت لديهم بالادلة التى لاتحتاج الى برهنة عن ان العالم مدين بحضارته ونهوضه الى حضارة الاسلام التى قامت فى عصور ازدهاره فى بغداد والاندلس والتى وفت العربية بجميع متطلباتها فى هذه الحقبة بصورة لا تدع مجالا لريب مرتاب ، وما اجدرنا ان نتذكر قول شاعر النيل المرحوم حافظ ابراهيم وقد احس بهذا الالم فتحدث بلسانها قائلا : —

رمونى بعقم فى الشباب وليتنى
عقمت فلم اجزع لقول عداتى
وسعت كتاب الله لفظا وغاية
فما ضقت عن آى به وعظات

فكيف اضيق اليوم عن وصف آلة
وتنسيق اسماء لمخترعات
انا البحر فى احشائه الدر كامن
فهل ساءلوا الغواص عن صدفاتى

وان المقام يقتضى ايضاح ذلك ليعلم الناشئة قدر لغتهم فيقبلوا على درسها بايمان ويسهموا فى العمل على دعمها بالمصطلحات الجديدة بعزم اكبر ، وانه ليجدر ان اوجه نظر السادة اعضاء المؤتمر الى ان العنوان الذى وضع للمؤتمر لا يتناسب مع المهمة الملقاة على عاتقه فانه يبدو لمن وضحت امامه الصور المطلوبة ان القصد هو توحيد المصطلحات فى البلاد العربية بعد اخضاعها للنظام العربى ولهذا الاخضاع طرق كثيرة منها الاشتقاق والنحت والنقل والتجوز والتعريب وهو ما يعرف عند العلماء حديثا بالاقتراض اللغوى فالتعريب احد هذه الوسائل ولذلك يحسن ان نطلق عليه اسم مؤتمر توحيد المصطلحات العلمية العربية او مؤتمر تنمية الثروة اللغوية او اى اسم يراه المؤتمر ليكون ذلك متفقا مع رسالته وهو تذليل الصعاب امام الدارسين فى شتى الاقطار العربية حتى لا يشتط بهم النوى وتتمزق النزعات كما انه بعد ان وضحت تلك الملاحظات اود ان اوضح المراد من هذا العنوان وهو خصائص اللغة العربية فى التعبير العلمى فالمقصود منه الافصاح عن العوامل التى يعتمد عليها فى نقل المصطلحات المستحدثة من اللغات الاجنبية الى اللغة العربية بحيث يرتبطه

الدارسون ويلتزمه الباحثون فى جميع الاقطار العربية ليرتبط الجميع برباط علمى موحد ، وهذا يتطلب ان يكون الاطلاع عليه دقيقا ومحددا وان يكون الاسلوب موضحا للحقائق مبرزا للسمات بعيدا عن الغموض والابهام ومن هنا يبدو أن المراد من الاسلوب العلمى : الاسلوب الذى يتخذ لتوضيح الحقائق ، وابرازها فى صورة واضحة وهذا يقتضى الدقة والتحديد وهاتان السمتان قد اتبعهما رواد الحقيقة وسار على غرارهما ابناء العربية فى هذا السبيل وأن اللغة العربية قد قامت بهذا الغرض ووفت بهذا المنهج فى عصورها المختلفة ، لنتأكد من ذلك كل من يتأمل هذه الدراسة واننا اذا اردنا تبين ذلك فلنرجع الى عصور العربية المختلفة لنتأكد من ذلك ففى العصر الجاهلى تبدو العربية معبرة عن بيئتها من وصف للصحراء ولياليها ومن الحب الذى تملك قلوب بنيها وتعرض للاسفار وجوب للقفار واهتداء للسارى بنجومها مبرزين صفات دوابهم من الجمال والخيول وان معلقة امرئ القيس وهى على مقربة من اذهانكم تؤكد هذا المنحى وتبرزه فى صورته الواضحة كما انهم يتجهون احيانا الى وصف الشراب والمنادمة كما هو موجود فى صدر معلقة عمرو بن كلثوم .

الاهبى بصحنك فاصبحينا
ولا تبقى خمور الاندرينا
مشعشعة كأن الحصى فيها
اذا ما الماء خالطها ثخينا

كما وفت بمتطلبات هذه الامة مما اخذته من الامم الاخرى من اللباس والرياش والعطور وان تركنا بداوة الحجاز ، وسرحنا الطرف قليلا فى الحضارة العتيقة التى تحدث بها الركاب وسارت بذكرها الازمنة وهى التى قامت ببلاد اليمن يبدو لنا وفاء تلك اللغة بهذه المتطلبات وقيامها بالتعبير عن هذا التقدم الحضارى فى هذه البقعة التى حدثنا بها القرآن الكريم فى سورة سبأ وهى قوله جل ثناؤه . . « لقد كان لسبأ فى مساكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور فاعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى اكل خمط واثل وشىء من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل يجازى الا الكفور » .

فلما اشرقت شمس الاسلام وكان له آثار بعيدة المدى فى حياة العرب وعاداتهم ومعتقداتهم ولغتهم فقد حرم عبادة الاصنام ودعاهم الى عبادة الله ووضع لهم نظما جديدة فى عبادتهم وحياتهم وابدلهم بتحياتهم المتداولة مثل قولهم . . عم صباحا وعم مساء بالسلام الذى هو أمن واطمئنان كما أوضح لهم الطريق السوى للعبادة وقد وفت العربية بذلك وفاء تاما معتمدة على وسائل كثيرة .

1) نقل الالفاظ من معانيها اللغوية المعروفة لفصحائها فى الجاهلية الى معان جديدة كالمسلم والمؤمن والكافر والصلاة والصوم والزكاة والحج فأصبحت المدلولات الجديدة اقرب الى الاذهان من المعانى اللغوية القديمة فالصلاة مثل يفهم السامع منها اداء الركعات على الوجه المطلوب وهو الذى أوضحه هذا الدين من المعنى الاصلى المعروف فى اللغة وهو الدعاء .

2) استحداث الفاظ وتراكيب اقتضتها مناسك الدعوة الجديدة كالمنافق الموضوع اصالة للجحر الذى يتخذه اليربوع للخروج منه عند حضور الصائد لاصطياده مستعملا فيمن يظهر غير ما يبطن واستحدثت كذلك تراكيب كقوله جل ثناؤه ولما سقط فى ايديهم . . كناية عن الندم والحسرة .

3) اماتة الفاظ وتراكيب لاماتة مدلولاتها كالفاظ التحية السابقة وكأسماء الانصبة فى الغنائم كالنشيطة الموضوعة لما يغنم الغزاة فى الطريق والفضول لما يبقى من الغنائم مما لا يقبل القسمة والمرباع لربع الغنيمة فاستعيض عن ذلك بما انزله الله فى محكم كتابه فى سورة الانفال من قوله : « واعلموا ان ما غنمتم من شىء فان لله خمسه وللرسول وذى القربى واليتامى والمساكين » الخ الآية ومن استعراض ذلك تبدو صورة وفاء هذه اللغة باحتياجات المجتمع الجديد فلم تقف جامدة بل لبست ثوبها الجديد فى صورة مشرقة تدل على ما للعربية من مرونة هيأت لها طريق التعبير عن كل مستحدث .

ولم يكن الامر فى ظل دولة الخلفاء وبنى امية باشق من سالفه فان وفاة الرسول قد احدثت خلافا بين صفوف المهاجرين والانصار وقد حض ابو بكر بكلمته الخالدة « لا تدين العرب الا لهذا الحى من قريش فلا تنفسوا عن اخوانكم ما حباهم الله من فضله فقد انصاع الجميع لمقالته وواجهوا الصعاب التى جدت بعد وفاة الرسول كحرب المرتدين وقد صحب هذه الاحداث تطور فى المصطلحات ففى مضمار السياسة والادارة استحدثت الفاظ من صميم العربية وجلبت الفاظ من خارجها فوجد الخليفة وامير المؤمنين والمشير ووجد لفظ الديوان الذى

تعددت نظمه لاتساع الدولة خارج الجزيرة فوجد ديوان الحجاز والجند والاعطيات كما استحدثت الفاظ فى ميدان الحروب فوجدت اليراديس والفصائل العظيمة من الفرسان ، والصائفة لمن يغزون صيفا والشاتية لمن يغزون شتاء كما استحدثت فى عهد معاوية الفاظ تدل على الادوات الجديدة المستخدمة فى الحرّوب كالعرادة التى اطلقت على الآلة المستخدمة فى رمى الحصون بالحجارة ·

ومما يجدر التنويه عليه ان مصطلحات العلوم قد بدا ظهورها فى هذا العصر ، فوجدت اغلب الفاظ التوحيد والفقه كما وجدت مصطلحات النحو كالمبتدا والفاعل · وقد امكن للغة ان تساير الركب الحضارى الجديد بروح قوية وعزم اكيد بانجاع ايسر الطريقتين وهما نقل الالفاظ من معانيها الوضعية الى معانيها الجديدة، او بتعريب الالفاظ مع اخضاعها فى النطق للنمط العربى·

ظل الامر على هذا المنوال الى ان تمكن العباسيون من القضاء على دولة بنى امية وتسلم زمام الامر ،علما بان سياستهم كانت قائمة على اقصاء العرب وتقريب الاعاجم فاسندوا المناصب الرفيعة كالوزارة اليهم ، وقد ادلوا بدلوهم فى المعترك بجد ونشاط لمؤازرة الحكم الجديد للوصول بالامة الى اعلى الدرجات ، وظلوا يعملون فى مضمارهم الى ان تولى الحكم الخليفة العالم (المأمون) الذى وضع نصب عينيه ان يصل بالامة الى المستوى الرفيع عن طريق العلم والمعرفة فوجد امامة الثقافات اليونانية والفارسية والهندية والسريانية والقبطية ، فشجع العلماء والمترجمين على القيام بهذه المهمة وسخا عليهم ببدر المال استحثاثا لجهودهم فى نقل هذه العلوم من طب وفلسفة ورياضية واخلاق الى العربية · وقد اعتمدوا فى مواجهة هذه المتطلبات على الطرق القويمة فى تنمية الثورة اللغوية فاستخدموا الاشتقاق والتجوز والنحت والابدال والقلب لتذليل المصطلحات التى واجهتهم ويبدو ذلك فيما نقل عنهم · وبعد ان كانت بحوثهم فى ميدان الطب مقصورة على الكى والحجامة تفتحت الآفاق امامهم فعرفوا من الامراض الصرع والصفراء والذبحة ، وفى الادوية وجدت المسخنات والمرطبات والمبردات ·

وفى ميدان الفلسفة وهى ناحية جديدة نقلت من اليونانية تعرف الحد والرسم والكون والظهور ·

وفى الرياضة وجد المثلث والمربع والمستطيل · وفى السياسة استخدم السفاح والمنصور والمعتصم وقد كان للتعريب اثر كبير فى مضمار هذه النهضة ، ففى الادوية اخذوا من اليونانية الصقمونيا والمصطكى ومن الفارسية اخذوا البابونج والزرنيخ ·

وفى الفلسفة وجد الهيولى والمغنطيس والقانون وجميعها من اليونانية ·

ولم يقف الامر عند المصطلحات بل امتد ايضا الى التراكيب فاخذوا من اليونانية ما يلى :

1 ــ تركيب الالفاظ مع لا النافية وادخال اداة التعريف عليها كقولهم اللانهاية والاضرورة ·

2 ــ صوغ الاسم من الحروف والضمائر كالكمية والماهية ، والكيفية ·

3 ــ نقل الالفاظ من الوصفية الى الاسمية كالمائية والخاصية · فنرى ان اللغة قد زهت وازدهرت بازدهار العلوم ونقل المعارف الى العربية فكانت العربية مطواعة لتلقى تلك النهضة وتقبل هذه الاوضاع بروح قوية وعزم اكيد ·

ولم يكن الوضع فى الاندلس باقل منه فى بغداد بل ان النهضة كانت على اوسع نطاق وادقه وان من يتتبع مؤلفات العلماء من ذلك الوطن ويقرؤها باسلوبها العربى الفصيح ليتملكه الاعجاب والدهشة ولولا سقوط بغداد فى يد التتار والاندلس فى يد الفرنجية لظل للعرب وللغتهم زمام السبق ·

ظل الامر على ذلك الى ان صحت الامة العربية من غفوتها ونهضت من رقدتها فوجدت التطور العلمى وارادت ان تدخله فى بلادها باللغة العربية ولكن الاستعمار وقد بسط اجنحته على تلك البلاد فاراد ان يشعر العرب بعجزهم عن اللحاق بهذا التطور كما اراد ان يثبت ان لغتهم عاجزة عن الوفاء بهذه المصطلحات وعن التعبير عن هذه المتطلبات فرضخت الامم المستعمرة بهذا الوضع وتقبلت الدراسة بلغة المستعمر الى ان اذن الله لها بفجر جديد تتنسم فيه نسيم الحرية وتعيد الى لغتها ما كانت تتمتع به فى عصور النهضات السابقة·

والآن وقد تخلصت الامة العربية من براثن الاستعمار واناء الله عليها من فضل ونعمة يهيئان لها سبيل النهوض والرقى · وقد بدا العلماء فى مواجهة هذه الصعاب راجين تذليلها ابقاء على العربية وحفاظا لها

من أولئك المتربصين لها بغية القضاء عليها وعلى دين الله الذى حفظ لها هذا الرونق وابقى لها ذلك الجمال الذى يتبينه الدارسون لها ·

ولكن الله الذى انزل كتابه على نبيه اكد ضرورة حفاظه عليه فقال فى محكم كتابه : « انا نحن نزلنا الذكر، وانا له لحافظون » واننا وقد وضع لنا وفاء العربية فى عصورها السابقة بما طلب منها فلم تضن على بنيها بمصطلح ، ولم تقف جامدة أمام نهضة · واننا وقد اصبحنا أمام نهضة علمية جبارة وجب علينا ان نساير ركب هذه الحضارة بعزمات اقوى من السيوف وامضى من البواتر · وان هذه اللغة التى وفت بمتطلباتها فيما مضى لجديرة ان تقف متربعة على عرش العلوم معلنة انها ارحب صدرا واوسع افقا فى القيام بما يناط بها من مصطلحات وما يرد اليها من مستحدثات ، وانه ليجدر بنا أن نقف وقفة امة فى الحفاظ على لغتنا ليتلقاها ابناؤنا بصورة كريمة مشرقة ناهجين نهج سلفنا فيما اتبعوه ابان النهضات من سلوك الطرق السليمة لتنمية الثروة اللغوية وهى يسيرة ليست بالعسيرة · ونجملها فيما يلى مع الاشارة الى ما جد فى اللغة مما يمكن استخدامه للتذليل والتيسير ·

وأول هذه العوامل الاشتقاق وهو ضرب من التوليد والتنمية يساعد على ان يؤخذ من اللفظ الواحد عدة الفاظ ويسعفنا فى هذا المقام الاستعانة باسم الآلة لمواجهة المستحدثات كما ننهج النهج الذى اقره مجمع اللغة العربية بالقاهرة فى اجازة الاشتقاق من الاسماء الجامدة كمكهرب وممغنط وجماذ ، كما اجاز السابقون مذهبا ومفضضا ·

كما نتجه الى الطريق الامثل فى اجازة نقل الالفاظ من معانيها الوضعية الى معانيها الجديدة بدلا من اللجوء الى استعمال الالفاظ الاجنبية وفق استعمالها فى لغاتها· فمثلا قد اصبح لفظ القطار لا يقصد منه الا تلك الآلة البخارية بعد أن كانت مستعملة فى قافلة الابل وكذلك السيارة وغيرها · كما نلجأ الى اتخاذ النحت وسيلة لتحقيق هذا الغرض من اتباع توليد لفظ من لفظين او اكثر للدلالة على ما نحت منه رغبة فى الاختصار كقولهم البسملة والطلبقة والدمعزة ، قياسا عليه قال المحدثون الفنقلة والفذلكة والحرذمة والدرعمسى والكلغسرى ، ولاستخدام الوسائل الاخرى من القلب والابدال ·

فان شق الامر وصعب استخدام هذه الوسائل فليكن لنا اسوة باسلافنا من اجازة استخدام المصطلح الاجنبى مع اخضاعه للنظام العربى كلما امكن ذلك · وان الجأتنا الضرورة وابقيناه على صورته الواردة وهو ما يعرف لدى العلماء باسم التعريب · وتعرف كل هذه العوامل المؤدية الى اثراء اللغة بالاقتراض اللغوى فان كان من صميمها عرف بالاقتراض اللغوى الداخلى ويشمل كل عوامل التنمية اللغوية عدا التعريب وان كان من خارجها عرف بالاقتراض اللغوى الخارجى او الدخيل وهو ما يعرف بالتعريب ·

وبذلك يتيسر للغة ان تفى بحاجة المجتمع العربى ولذلك نأمل عقد المؤتمرات اللغوية الدورية فى ارجاء الوطن العربى للاتفاق على المصطلحات التى تجد ليعرفها جميع الدارسين وتشيع بينهم ولا تصبح غريبة فى اى وطن عربى بحيث اذا التقوا فى اى وطن منها لم يكن منها مصطلح غريبا عنهم ·

ومن هنا تتضح قدرة العربية على الوفاء بجميع المصطلحات الوافدة من جميع اللغات فى شتى العلوم والمخترعات ·

كما نرجو أن يرتبط الدارسون على اختلاف اوطانهم برباط علمى وثيق لا يبعده مصطلح غريب وخاصة وقد رأينا ما فعله الاستعمار قديما من سيطرة لغاته من انجليزية وفرنسية وايطالية للقضاء على وحدة هذه الامة·

واليوم وقد ادركنا تلك الحقائق ناصعة يجدر بنا أن يلتئم شملنا ويتضام علماؤنا باذلين اقصى جهودهم فى الحفاظ على الامجاد القديمة للغتهم والابقاء على الرباط المتين وهو العربية التى ربطت بين ابنائها وجعلتهم امة واحدة كما قال جل ثناؤه : « وان هذه امتكم امة واحدة » ولذلك يرجى منهم حديثا أن يثوبوا الى رشدهم ويعودوا الى صوابهم وقد تحقق ذلك وبدت ثمرته فى هذا المؤتمر الذى يرجى منه العمل على تحقيق الهدف والله الهادى الى سواء السبيل وهو حسبنا وهادينا ·

« ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ·